مواقع العصر الحجري القديم قرب حماه [1]

بقلم : ب ج . ر مودرمان

تعريب وتلخيص : شوقي شعث

محافظ متحف طرطوس

مقدمة :

ان الابحاث التي سيعالجها هذا التقرير جاءت نتيجة مشاركة بين أشخاص ومصالح عدة . ولقد كان لمشاركة الدكتور سليم عبد الحق المدير العام للآثار والمتاحف في الجمهورية العربية السورية وحماسة الشديد للموضوع ، ان اتاح لنا الامكانيات للبدء في العمل ، ولولا تلك المساعدة لما تيسر للبحث أن ينجز ، فلقد انجزت المرحلة الأولى منه من قبل الدكتور فان لير خبير منظمة التغذية والزراعة لدراسة التربة السورية وتاريخها وان تفتح ذهنه لقضايا الأثرية وعلاقتها مع التربة أظهر إمكانات دراسة مدرجات (مصاطب) العاصي ، وعند ما تم الاتفاق بين الدكتور عبد الحق والدكتور ب . چلازيما مدير الابحاث الأثرية في حكومة هولندا ، اتيح لكاتب المقال وهو محافظ في مصلحة الآثار الهولندية أن يبدأ تحرياته لمواقع ما قبل التاريخ في الجمهورية العربية السورية وهو يقدم شكره لكل الذين ساعدوه في عمله .

ان أول ما سأعالجه هو لقايا العصر الحجري القديم في مدرجات وادي نهر العاصي في محافظة حماه . لذلك قمت بزيارة عدد من هذه المدرجات واختبرت حفر الحصى في اللطامنة حيث يتوقع

---

(١) من أراد الاستزادة فعليه مراجعة المقال الأجنبي المنشور في هذه المجلة .

نتائج مفصلة . ولقد سبقني إلى ذلك الدكتور فان لير باشراف مديرية الآثار العامة حيث تقدم بتقرير عن ذلك نشر في مجلة الحوليات السورية عام ١٩٦٠ وكذلك الدكتور د . هويجر وقام بنشر تقرير عن ابحاثه في المجلة المذكورة عن العظام التي وجدت في سبر عام ١٩٦٠ وبدأت عملي في سبر عام ١٩٦٠ الذي قامت به مديرية الآثار العامة باشراف فان لير وفي سبر آخر بالقرب منه وسأصف النتائج التي حصلت عليها .

مواقع العصر الحجري القديم على طول العاصي بالقرب من حماه

قمنا بزيارات متعددة لمدرجات وادي نهر العاصي لجمع نماذج من الظران فتجمع لدينا عدد كاف من ظران العصر الحجري القديم ومجموعة من الظران الغشيم (غير المشغول) ومجموعة أخرى أكثر حداثة ولقد شملت زياراتنا لمواقع الجزء الذي يمتد بين « الجرنية » الواقعة إلى الجنوب الشرقي من حماه بحوالي ١٤ كم و « تل الناصرية » إلى الشمال الغربي من حماه بمسافة ١٤ كم أيضاً ومنها إلى مقالع « اللطامنة » بمسافة تسع كيلو مترات وكانت كل القياسات مستقيمة ولم يكن من المستطاع زيارة كل مدرجات العاصي لذلك وجب الاختيار ولقد استعنا في ذلك بصور كان لدى الدكتور فان لير يبين اكوام الحجارة الصغيرة ، وعند تجوالنا في الحقول ظهر من الواضح أنه يمكن العثور على ظران العصر الحجري القديم في التربة الحمراء بصورة أوفر من التربة الصفراء وان المصاطب (المدرجات) الواقعة في وادي النهر أوفر حظاً في العثور على نماذج الظران من المصاطب الأخرى .

وسنقوم بوصف كل موقع تحريناه وسنعطي تفاصيل عن الموقع الطوبوغرافي وظروف وجود اللقى وذلك بصوره اوليه ، لأن معظم اللقى جمعت من سطح المواقع وهي خليط من النماذج الظرانية التي تعود إلى فترات متعددة في التاريخ ، ونجد أنه من المفيد أن نعطي وصفاً قصيراً للمواقع التي عثر على النماذج الظرانية فيها .

١ – جرنية : (١) جمعت اللقى من الحقل الواقع إلى شمال القرية ومن منحدرات وادي النهر وأهمها : جسم ذو وجهين ، مكشط صواني ، شظيتين قصيرتين للكشط ، شظيتين طويلتين ، أربع شظايا ، ثلاثة هياكل لسلحفاة وأشياء أخرى .

---

(١) سنكتفي بسرد اللقى فقط .

ويظهر أن الجسم ذو الوجهين يعود إلى العهد الاشولي أما المكشط والشظايا فهي من صنعة العهد اليبرودي وهياكل السلاحف تعود إلى العهد اللوفلوازي Levalloisian .

٢ – مزرعة الشيخ عبد الله : جمعت اللقي من الحقل الواقع إلى الشمال الشرقي من القرية ومن منحدرات النهر وأهمها نصل حاد ، مكشطين ، ثلاثة شظايا مهذبة وثلاثة أخرى عريضة إحداها كبيرة وطويلة عليها بعض الشذيبات ، ثلاثة زلطات مشغولة وثلاثة أنوية .

٣ – حماه – قمنهاونه : جمعت اللقي من حقل مثلث الشكل يكون أحد جوانبه الطريق إلى « سريحين » والجانب الآخر البساتين على طول العاصي وأهمها : (شظايا زلطات حصى مستدير) هياكل لسلاحف) .

٤ – شرية الشير ١ : تنتشر المدرجات في المنطقة وعليها ظران كثير لذلك سنعمد إلى أخذ عينات فقط .

٥ – شرية ٢ : ينتشر الظران في بعض الحقول الواقعة على المنحدر الشرقي للاخدود . اللقي : (مثقب شظايا هياكل لسلاحف ، نواة) .

٦ – شرية ٣ : جمعت الأدوات من عدة أماكن وأهم تلك الأدوات عبارة عن نصال وشظايا وهيكل لسلحفاة ونظراً لكثرة الأدوات المجموعة فلا أهمية لها .

٧ – حماه – شرية ١ : كل الموجودات التقطت من جدار المقلع وأهمها شظية سميكة وشظايا أخرى مختلفة ونواه .

٨ – حماه – شرية ٢ : كل الموجودات جمعت من أرض المقلع لذلك فليس هناك ما يؤكد أنها جاءت من الطبقة الفليفرانشية Villafranchian .

٩ – أرزه : جمعت الموجودات من البساتين الواقعة إلى الجنوب من المزرعة وبعضها من فوق مستوى البحر بحوالي ٢٩٠ مم وأهمها :

نصل مثلث الشكل مناقب مكشط شظايا . ونلاحظ هنا أنها مدهونة باللون الرمادي .

١٠ – خطاب : جمعت الموجودات من الحقول التي تحد انحدار وادي النهر وأهمها من الشظايا والنصال .

١١ – جنوبي شرقي الزور الجديد : يقل الظران والحصى في هذه الحقول ولقد عثر على مثقب وثلاث شظايا ونواه من المحتمل أن تكون هيكل سلحفاة .

ونلاحظ مما سبق أن الموجودات التي يتم العثور عليها في المواقع السابقة تتلخص في : مجموعة من الشظايا الغشيمة والمشغولة وبعض النصال ومثاقب ومكاشط وبعض هياكل السلاحف ويظهر أن بعضها يعود إلى العهد الاشولي والبعض الآخر يعود إلى العهد اليبرودي أما السلاحف فيعتقد أنها من نوع تلك السلاحف التي سادت في العهد اللفوازي .

— الحفر في اللطامنة —

بعد أن تحرينا المواقع الواقعة على طول نهر العاصي بالقرب من حماه وجدت أنه من المفيد أن نتمم عمل ١٩٦٠ في اللطامنة وأعود لأشكر الدكتور عبد الحق الذي ساعدني في هذه المهمة . لم يكن الطقس مناسباً للحفر في تلك المنطقة مما سبب لنا التأخير وكان كل ما عملناه عبارة عن أربعة أيام ونصف في شهر كانون الأول (ديسمبر) من عام ١٩٦١ ويومين آخرين في كانون الثاني (يناير) من عام ١٩٦٢ وكان عدد العمال يتراوح بين ٢٠ - ٣٠ عاملاً .

في اليوم التاسع من شهر كانون الأول تحريت المناطق المجاورة لحفريات عام ١٩٦٠ فوجدت مجموعة من سبعة نصال في بقعة تبلغ اطوالها ٥ × ٥ م وعلى بعد ٢٠٠ م تقريباً لذلك قررت عمل سبر آخر في تلك البقعة وستعالج موجودات كل موقع على حده حيث يسمي موقع ١٩٦٠ بالمقلع Quarry أما الموقع الجديد فيتسمى المعمل Atelier .

المعمل Atelier :

يقع على حدود وادي النهر الجيري الذي حفره العاصي في الأزمنـــة البلستوسنية وكان الحصى الذي جلبه النهر يملأ هذه المنطقة وقد توضعت فوق الحصى طبقة من الرمل الصلصالي (الغضار) حيث وجدت النصال والشظايا فوقها ، وقد جمعت اللقى من منحدرات الوادي القليلة التآكل ، وعندما قمنا بالحفر عرفنا أن تلك النصال والشظايا قد تجمعت في طبقة يتراوح سمكها بين ٣ سم - ١٨ سم وان قطعاً تياشيرية وظرانية مختلفة الاحجام وجدت مطمورة بلا صقل أي بعكس قطع الطبقات السطحية . لقد قمنا بحفر مساحة يبلغ اتساعها ٥٤ م٢ ، ولقد حصلنا بذلك على ٥٣ نصلاً ومن مربع آخر مجاور عثرنا على ثلاثة نصال وكنا وجدنا ثلاثة أخرى في نفس اليوم الذي بدأنا فيه الحفر ولقد عرفنا توزع هذه القطع على مربعات التنقيب فظهر ان الشظايا تكثر من مركز مخطط التنقيب وان توزع النصال يتبع توزع الشظايا وقد تختلف النصال في حدتها من مربع لآخر ومن

طبقة لأخرى فقد عثر في بعض المربعات على نصال من الجير تبلغ اطوالها حوالي ٤٠ سم حيث الطبقات أكثر سمكاً ، بذلك يبدو جلياً أن قوى الطبيعة قد لعبت دوراً في نقل تلك المواد باختبار معين فقد بدا ظاهراً أن الظران المشغول من انتقل ولكن ليس إلى مسافات بعيدة أو بقوة كبيرة ، ذلك أن اطراف النصال والشظايا الحادة لا زالت جيدة وأن القطع التي عثر عليها في المقلع أكثر تلفاً ، وإلى جانب القطع الظرانية عثر على ثلاثة عشر كسرة من العظم وسنة واحدة .

ان التسع والخمسين قطعة الظرانية تعود من وجهة النظر الفنية إلى مجموعة واحدة وان اختلفت بعض الشيء ويمكن ارجاعها إلى العهد الاشولي Acheulean أو إلى العهد الـ Abbevillean ويظهر أنها شغلت (صنعت) بواسطة السندان ولها جميعاً صفات الظران الخام .

يظهر الصوان في هذا الجزء من العالم على شكل عدسات راسبة في الجير وقد تمتد إلى عدة أمتار وتختلف سماكتها من خمسة أمتار إلى عشرين متراً ويبدو أن سماكة الظران الخام هي نفس سماكة الرقاق (النصال) وتظهر بعض القشرات الجيرية عليها وربما يتكون الطرف الأسفل منها أحياناً من الجير أو الصوان وهو في الغالب دقيقاً ، وعند امعان النظر في لون ونوع وسماكة تلك القشرات الجيرية يظهر أن لها صفات مميزة ، وأن عدداً كبيراً من الشظايا من له نفس صفات النصال ويمكن أن يعود ذلك إلى أن النصال صنعت في بقعة تجمع فيها الظران بسبب الفيضانات ولكن لسوء الحظ لم نعثر على شظية لها علاقة بأي من النصال .

المقلع Quarry :

لقد قمنا بتعميق سبر عام ١٩٦٠ بمقدار ٢٥ سم وعند ما تبين لنا أن النتائج غير مشجعة قررنا عمل سبر آخر بمحاذاة السبر الأول من الجهة الشرقية ويبعد عنه بمقدار ٧٥ سم وبعمق يصل إلى نصف المتر وكانت الغاية من ذلك جمع أدوات وعظام أكثر من تلك التي حصل عليها الدكتور فان لير في حفريات عام ١٩٦٠ ولكن لم تكن هناك ملاحظات جديدة في هذا المجال .

اللقي : يجب أن تعالج لقي ١٩٦٠ و ٦١ / ٦٢ كمجموعة واحدة إذ لا يوجد ثمة سبب لتقسيمها لوجودها في طبقة واحدة .

ان لقي المقلع عبارة عن خليط من النماذج صنعت في أجيال متعاقبة وعند مقارنتها مع لقي المعمل Atelier ظهر أن لقى المعمل أكثر جودة منها أي من لقي المقلع لأنها تأثرت كثيراً بحركتها في سرير النهر بين الحصى .

النصال : يظهر من نصال المعمل أن صناعة الظران وصلت إلى مستوى رفيع وقد عرف الصانع بدقة صنع الشظايا الكبيرة والصغيرة بواسطة السندان وان هذه المقدرة الفائقة عند صانع الظران تجعلني في شك من تفسير الدكتور لير الذي قدمه بعد دراسته لقطع موسم عام ١٩٦٠ إذ أن إمكانية تهذيب الشظايا بواسطة الضغط الذي يحدثه الحصى عليها عند فيضان النهر السريع غير مقبول فلقد يوجد اختلاف بين التهذيبات التي يحدثها فيضان النهر وبين تلك التي تحدثها يد الإنسان ذلك لأن التي صنعتها يد الانسان تكون هادفة بينما تلك التي يحدثها فيضان النهر فتكون بنتيجة الصدفة ولذلك فإننا سنعتمد في دراستنا القطع ذات التهذيبات الهادفة ويمكن التمييز بين النوعين بواسطة قياس الزوايا والصنعة والاطوال وبذا يسهل تحديد عهدها أما المكاشط والمثاقب والمناقيش فيصعب تحديد عهدها إذ أن Rust يذكر في وصفه للقي عام ١٩٥٠ في يبرود أن المنقاش لم يكن معروفاً بعد كأداة لذلك أراني مضطراً لرفض المنقاش كأداة كانت تستعمل في حضارة العصور الحجرية القديمة والمتوسطة في سوريا الجنوبية الغربية .

أما بالنسبة للمثاقب فسأعتمد على دراسة النماذج الخمسة التي قدمها الدكتور فان لير في مقاله عن لقي عام ١٩٦٠ وكل ما أقوله حول هذه النماذج ان بعضها استعمل كمكاشط وان ليس من واحد منها صنع لان يكون مثقباً .

أما المكاشط : فيمكن اعتبار كثير من الشظايا مكاشط مع أن عدداً قليلاً منها صنع لأن يكون مكشطا .

الشظايا : ان ملاحظات قليلة طرحت وسنعمد إلى مقارنتها مع شظايا المعمل في الخاتمة .

الخاتمة :

ان لقايا المعمل تختلف عن لقايا المقلع فالأولى أقدم من الثانية وقد نتجت عن إقامة قصيرة نسبياً لمجموعة من الصيادين على ضفاف العاصي بينما لقي المقلع فيحتمل انها من أجيال متعددة من الصيادين وعلى أي حال فلا يستطاع الجزم في تحديد كلا المجموعتين بالضبط ، وعند مقارنة الاشكال البيانية لكلا الموقعين والتي تبين أطوال النصال يظهر أن نصال المعمل اكثر طولاً وعرضاً وسماكة من نصال المقلع .

وعند مقارنة أشكال اللطامنة بتلك الاشكال المعروفة من يبرود وجبل الكرمل في فلسطين نرى أن أطوال نصال يبرود أقل من اطوال نصال اللطامنة وكذا الحال في نصال الكرمل ، ومما سبق نلاحظ أن ثمة ميلاً عاماً نحو صغر احجام النصال في العهد الحجري القديم وان نصال معمل اللطامنة أقدم النصال جميعاً ويأتي بعدها نصال المقلع بينما تظل نصال يبرود والكرمل أكثر حداثة

الشظايا : لقد قمت بادىء الأمر بتقسيم الشظايا حسب أطوالها وحسب علاقة العرض بالطول فإن هناك الشظايا الطويلة الذي يبلغ عرضها نصف طولها أو أقل والشظايا القصيرة يبلغ عرضها أكثر من نصف طولها ولا يزيد عن ثلاثة أرباعه والشظايا العريضة الذي يبلغ عرضها (اتساعها) ثلاثة ارباع طولها أو يزيد ، وبما أن سماكة الشظية هي العنصر الثالث للوصف فرأينا أن ندخل الشظايا الطويلة والقصيرة والعريضة ضمن مجموعة الشظايا السميكة والرقيقة وحيث أن السماكة لها علاقة بالعرض فنلاحظ أن الشظية السميكة تبلغ سماكتها خمسي عرضها أو أكثر .

أما النتائج التي حصلنا عليها بنتيجة هذا التقسيم البالغ في التعقيد فهي :

١ ـ شظايا المقلع أطول من شظايا المعمل .

٢ ـ الشظايا العريضة الرفيعة أكثر عدداً من الشظايا الطويلة السميكة وان الاختلاف بين بين النوعين .

وعلى العموم نلاحظ من الاشكال البيانية أن ثمة تناوباً قد حدث بين اليسار الأسفل واليمين الأعلى وان مجموعة من الشظايا العريضة ـ السميكة والقصيرة ـ الرقيقة قد انتقلت إلى اليمين حيث القطع الطويلة ويمكن ادراك ملاحظات أخرى عن المخططات نفسها وإن الاتجاه إلى انتاج شظايا تشبه الامواس في المقلع كما هو الحال في المعمل يبرهن مرة أخرى على حداثة لقى المقلع .

الموجز :

ان ابحاث ماقبل التاريخ حول مدرجات وادي العاصي في محافظة حماه وعلى الأخص في موقع اللطامنة قد أظهرت النتائج التالية :

١ – إن أقدم آثار للانسان القديم اكتشفت في مقالع الشير في ضواحي حماه حيث استطعنا جمع عدد قليل من الشظايا لذلك فإنه من غير الممكن ايجاد تقييم أثري حول الحضارة التي سادت في هذه البقعة وننصح بالمراقبة المستمرة للحصول على مواد أكثر .

٢ – إن معمل اللطامنة قد امدنا بـ ٥٩ نصلا وأكثر من ٤٠٠ شظية وهي تعود إلى العهد الاشولي Acheulean المبكر وان سن الفيل الذي عثر عليه بالقرب من المعمل Atelier أقدم من ذلك الذي عثر عليه في المقلع Quarry .

٣ – إن صناعة مدرجات اللطامنة الواقعة بالقرب من المقلع والتي تعود الى أوائل العهد الاشولي المتوسط متأثرة ببعض ميزات العهد اللفالوازي Levalloisian وان أحجام نصالها وشظاياها تختلف عن تلك التي وجدت في المعمل ، وهي أحدث من موجودات المقلع ، والى جانب ذلك فإن الدكتور هوجر قدم أسساً ثابتة لتاريخ ماقبل التاريخ بدراسته لعظام المقلع المتحجرة والتي تعود للعهد البيلستوسين المتوسط .

٤ – دراسة مدرجات العاصي أعطى فكرة كافية وواضحة عن آثار حضارة العصر الحجري القديم في مواقع متعددة كما ذكر فان لير Van lier في مقاله الذي نشر عام ١٩٦٢ في مجلة الحوليات ، ولا شك فإن النهر قد جذب الناس في كل فترة من فترات تاريخه .